دير القديس أنبا مقار
برية شهيت

العمل الروحي

الأب متى المسكين

كتاب: العمل الروحي.
المؤلف: الأب متى المسكين.
الطبعة الأولي: ١٩٦٥
الطبعات اللاحقة: ١٩٧٨-٢٠١٤
الطبعة السابعة: ٢٠١٧.
مطبعة دير القديس أنبا مقار - وادي النطرون.
ص.ب. ٢٧٨٠ القاهرة.
الناشر: دار مجلة مرقس ص.ب ٣١ شبرا
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٤٥٦١ / ٨٦
رقم الإيداع الدولي: ISNB 977-448-002-3
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر.

يُطلب من:
دار مجلة مرقس
القاهرة: ٢٨ شارع شبرا - تليفون ٢٥٧٧٠٦١٤
الإسكندرية: ٨ شارع جرين - محرم بك ت: ٤٩٥٢٧٤٠
أو من: مكتبة الدير
أو من خلال الموقع على الإنترنت:
www.stmacariusmonastery.org

المحتويات

العمل الروحي ٤

يقظة النفس وبدء العمل الروحي ٩

راحة ١٥

-١-
العمل الروحي

إن الطريق كله يقوم على أساس يلزم أن يكون واضحاً أمام المبتدئين وعند السائرين حتى النهاية، وهو: وجود محبة صادقة ملتهبة نحو الله، وإيمان عارٍ من الاعتماد على شيء إلا الله وحده، مع تسليم هادئ لمشيئة الله، واستعداد مستمر لإنكار الذات. هذا الأساس هو في الواقع خلاصة وصايا الرب، هو الإنجيل مُهيّأً للسلوك.

هذه الوصايا الأربع ليست شروطاً يجب توفرها كاملة حتى نبدأ الطريق، ولكنها يلزم أن تكون موجودة بصورة ما في النفس وأن تكون موضع اشتياق داخل الإنسان. غير أن هذا الأساس لا يكفي في ذاته أن يبني النفس ويضمن لها السير دون خطر، كما يستحيل أن يوصِّل إلى غاية الطريق، أي بلوغ الملكوت والاتحاد بالله.

إذن فوق الإحساس لابد من عمل، عمل من نوع الأساس وامتداد له، عمل يتم في الإنسان بواسطة الله، عمل بالتجارب والاختبارات والآلام المتعددة داخل الإنسان وخارجه، عمل يتم بممارسة التوبة على طول الطريق مع إخضاع الذات وتسليم المشيئة.

بهذا العمل تُختبر قوة الأساس واحتماله ويزداد رسوخه، ويمتد وينمو. وهل ننسى المسيح كيف عبَّر عن الحب الذي فيه بقبول الآلام وكيف «تعلَّم الطاعة مما تألم به» (عب٥: ٨)؟ وكيف أطاع حتى الموت

(في٢:٨)؟ وكيف اختبر تسليمه الكامل بتخلية مُرَّة على الصليب «إلهي إلهي لماذا تركتني» (مت٢٧:٤٦)؟ وكيف مارس إنكار الذات في آلام جثسيماني الإرادية «لتكن لا إرادتي بل إرادتك» (لو٢٢:٤٢)؟ وفي النهاية «قد أُكمل» (يو١٩:٣٠).

واضح من حياة المسيح أنه لم يكن يسعى على الأرض ليجلس عن يمين العظمة بل أن يكمِّل مشيئة أبيه. لذلك ليس من المفروض أن نضع أمام أعيننا أن نحصل على مواهب وعطايا الله ونحن على الطريق، حتى المواهب البسيطة لا يلزم أن تكون موضع إلحاح منا في الصلاة؛ ولكن يكفي أن نُكمِّل مشيئة الله بكل عزم ونتحرك حسب إرادته بكل خضوع وشكر في أي موقف يضعنا فيه أو في أية حالة يختارها لنا، واثقين أننا تحت عنايته مهما كانت الحالة. كل ما يلزم في عملنا أن نشتاق جداً إلى الكمال المسيحي الذي يُرضي الله ولكن كما يرغبه الله وبالطريقة التي يختارها هو.

وليس الكمال شيئاً نرجوه في المستقبل الغامض، ولكنه حاجة النفس في اللحظة التي نعيشها الآن، لأننا الآن نحن نملك أنفسنا ونستطيع أن نُعْطيها له، أما الغد فالله يملكه كليةً ولا نملك نحن منه شيئاً حتى نعطيه له. الذي يظن أنه يستطيع أن يُعطي مستقبله لله يكون كمن يُعطي من رصيد وهمي. المستقبل لا نعرف عنه شيئاً، وهو ليس في دائرة إمكانياتنا ولا نستطيع أن نتصرف فيه روحياً. **إن اللحظة التي نعيشها الآن هي كل ما نملك في الوجود.**

الآن نعرف ما في أنفسنا ونتبين بوضوح ما فينا من عيوب وما فينا

من إمكانيات مُعطَّلة. كذلك نستطيع أن نلمح على ضوء ما فينا ما هي مشيئة الله تجاه ما يجب أن نعمله. الكمال المسيحي واضح لنا الآن في ضوء الواقع الذي نَحُسُّه لأنه موجود فينا وها نحن نراه إذا أردنا، نراه بوضوح كما نرى السماء الآن فوقنا والأرض من تحتنا. ولكن إذا التفتنا إلى الوراء لننظر إلى الماضي نراه قد غاب عنا وأفْلَتَ منا، كالريح التي تمر علينا ثم تغادرنا ولا نستطيع أن نلاحقها ولا نعرف إلى أين ذهبت. وإذا نظرناه بالتصوُّر، نخور في أنفسنا لأننا نواجه إخفاقاً وتقصيراً. أما إذا حاولنا رؤية المستقبل، فنحن نقحم أنفسنا في فعل من أفعال التنبؤ يحوطه ضباب فكري وعتمة تحجز الرؤيا لا نتبين منها صورة الكمال الذي يَودُّه الله لنا.

وهكذا نحن لا نرجو إلا الواقع المُهيَّأ أمامنا للعمل الواضح، فإذا فقدنا رؤية ما فينا الآن وتراخينا عن أن نعمل شيئاً مناسباً، تَسرَّبت منا الحياة كلها.

ولكن أعمالنا في حد ذاتها، مهما كان فيها من حب وإيمان وإنكار ذات وتسليم مشيئة، لا توصلنا إلى حالة القداسة، ولا تؤهلنا لأيَّة مواهب، ولا حتى تستطيع أن تُدخلنا في حالة اطمئنان كلي وسلام.

إذن، مَنْ ذا الذي يعطي هذه الأمور؟ الله... الله الذي يظل يقود النفس الطيِّعة في طريق صعبة، واختبارات، وظلمة إثر ظلمة، وحيرة، وأعمال لا هدف لها حسب الظاهر، حتى يؤهلها بواسطة مصادمتها للواقع وبواسطة تقبُّلها للخبرات المؤلمة ومرورها في مأساة العالم ومحنة الأشرار، نعم، يؤهلها بهذا إلى مواهب غير مُرتقبة وقامة روحية عالية.

إن مواهب الله ليست كائنة فى يد الملائكة ولا محجوزة في طبقات

السموات العليا، إن مواهب الله كائنة في المصادمات اليومية التي نعانيها مع الجسد والعالم والناس، ولكن ليست المصادمات وحدها تنشئ مواهب، إنما هو الله الذي من أجله نقف ضد أخطاء الجسد، ونُصادم الباطل الذي في العالم والشر الذي في الناس.

فمواهب الاستنارة الروحية لا تنبع إلا من عتمة الظلمة التي تجوزها النفس في حيرة ودهشة من اختباراتها مع الواقع الذي تختبئ فيه الحقيقة.

والفرح الحقيقي وطول الأناة مصدرهما الخفي الآلام والأحزان التي يجزع منها الإنسان في البدء، ولكن بالصبر يكتشف أنها مجرد غلالة كاذبة تُخفي تحتها حقيقة ثابتة خالدة تُشيع في النفس مسرة إلهية غير كاذبة. والمحبة الإلهية الباسمة المتسعة لا يذوقها الإنسان إلا بعد أن تنعصر نفسه في معصرة عداوة الناس وبُغضهم وكيدهم.

ولكن الظلمة لا تنشئ نوراً من ذاتها ولا الحزن ينشئ فرحاً، ولا البغضة تنشئ محبة؛ كما أن الطين لا يُخرج زرعاً من ذاته إذ يلزم أن توضع فيه البذرة بإحكام وعناية، كذلك ليس كل بذرة تُزرع في الطين تنشئ زرعاً إلا ما كان فيها حياة!

وهكذا يلزم أن تكون النفس حية في حالة تسليم كلي لله حتى تضعها اليد الرحيمة في طين التجارب بإحكام وبالوضع المناسب، حتى تستفيد من الظلام والحزن والضيقة، فتسري فيها رعشة الحياة الأبدية وتتشكل فيها صفات الخلود: «محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان وداعة تعفف» (غل٥: ٢٢).

وهكذا نجد أن الإنسان السائر على الطريق مُطالَب بأن يكون في

حالة يقظة مستمرة للواقع الذي يعيش فيه، وعيناه ناظرتان إلى ما في أعماق نفسه من حقيقة حاضرة تحتاج إلى عمل واجتهاد، وأن يكون مستعداً لمواجهة كل الظروف المعاكسة وكل المصادمات بإيجابية غير متهربة من الواقع الخطر، مستفيداً من كل ما يحدث له أو فيه، واضعاً الله معه في كل موضع مُسلِّماً المشيئة له بالتمام بدون قلق أو ارتباك مهما كانت الظروف ومهما طالت التجربة دون حيرة وتساؤل، ودون لهفة لمعرفة السبب، ولا تسرُّع لمعرفة النتيجة.

-٢-

يقظة النفس وبدء العمل الروحي

من كثرة انشغال النفس بالأمور الحسية والأعمال والاهتمامات المتعلقة بالحوادث الزمنية اليومية، تفقد النفس قدرتها على تمييز ذاتها منفصلة عن الجسد ولا تدرك نفسها إلا ملتحمة بالأحاسيس الجسدية. وهي مهما بلغت من محاولات لتصوِّر نفسها منفصلة عن الجسد، فهي إنما تبلغ فقط إلى درجة رؤية ذاتها من خلال تشكيلات وتحركات العقل التي لا تخلو أيضاً من مسحة الجسديات وعنصر الحسيات. هذا يجعل النفس تتوهم أن دنيا الإنسان هي كل ما يمكن الإحساس به فقط، ويتعذر عليها جداً أن تتحقق الأمور الخالدة خلواً من تدخل الزمنيات والجسديات؛ وكأنما ملكوت السموات يتأتى عن طريق الأكل والشرب ولا تَمَسْ ولا تَذُقْ.

فإذا عَرض للنفس أن تقف في الصلاة، فإنها تكون فاقدة كل القدرة على استيضاح المفهومات الروحية فهماً واقعياً، وبالتالي يتعذر قيامها بالعمل الروحي، بمعناه الروحي! مثل هذه النفس يلزمها في الأساس وقبل تمرُّنها على الصلاة أو محاولة دخولها في المجال الروحي المحض أن تتعلم أولاً **كيف تهدأ** إلى نفسها وتكف

عن الاهتمام بالجسديات، وأن تحاول بكل جهد أن تتخلص من طغيان الجسد والحواس. وهذا لا يكلفها إطلاقاً أن تكفَّ عن الأعمال والواجبات الجسدية وأن تهمل مطالب الحياة، ولكن أن تستقل النفس بإمكانياتها وأفكارها ومشاعرها ومطالبها الإلهية عن إمكانيات الجسد وأفكاره وحواسه ومطالبه الزمنية؛ وتبدأ تتعرف على اختصاصها ومواهبها وفيما جُعلت له، وتمارس قدراتها الخاصة دون أي تعطيل فيما يختص بشئون الجسد. بهذا يبدأ في النفس **الاستعداد للعمل الروحي**.

ولكن لا تستطيع النفس أن تبدأ العمل الروحي إلا إذا اكتسبت العين الروحية، والأذن الروحية، واللسان الروحي، واستضاءت بنور المعرفة المتولدة من الحق كقول الرب.

وهذا لا يتأتى بالبحث ولا بكثرة القراءة ولا بالتعلم ولا بالمحاجاة والمناقشة مثلما ينمو العقل أو مثلما تكتسب القدرات الجسدية والفنية المعتمدة على الحواس تكتسب المهارة؛ بل على النقيض، فإن النفس لكي تتعلم الروحيات وتتهيأ لفهم الخلود وتبدأ بمباشرة العمل الروحي، يلزم تجريدها من كل الوسائل الحسية المكتسبة من الجسد بحيث تكف النفس عن استخدام المهارات الفكرية والحذق التصويري والاعتماد على قدرة الإفصاح والتعبير وفلسفة الشرح والمخاطبة والتأثير التي يعبِّر عنها الإنجيل جميعاً بكلمة: «بحكمةٍ ليست من هذا الدهر» (١كو٢:٦)،

إذ يلزم للنفس كي تبدأ بالعمل الروحي أن تفهم الروحيات وتحسها بإمكانياتها الخاصة، وإمكانيات النفس روحية! وأما الفهم الروحي وأما العمل الروحي - ممثَّلَيْن في الصليب - فهما جهالة عند العالم. وهذا يعني ما يقوله الكتاب المقدس بوضوح: «إن كان أحد يظن أنه حكيم بينكم **فَلْيَصِر جاهلاً لكي يصير حكيماً!**» (١كو٣:١٨) أي يلزم التخلي عن حكمة العالم التي هي في مضمونها زمنية حسية جسدية.

وإلى أن تبدأ النفس بمباشرة العمل الروحي وتذوقه تظل تستخدم في الصلاة، وهي تخاطب الله، لغة البشر والوسائل التي تستخدمها مع الناس من شرح المشاعر وتنميق الأقوال وخلق الاعتذارات.

ولكن في اللحظة التي تستطيع فيها النفس أن تكف عن استخدام هذه الوسائل تبدأ النفس تتكلم مع الله بوسائلها الخاصة بغير لسان وبغير لغة الناس وبلا تكلف مصطنع من عواطف وتأثيرات. وشيئاً فشيئاً تنجح النفس في التعبير عن مشاعرها العميقة لله وخواطرها المزدحمة نحوه ونحو الأبديات بما لا يمكن للغة البشر، مهما بلغت من الدقة والاتساع والحكمة، أن تلتقطه أو توضحه أو تعبِّر عنه.

بهذه القدرات الجديدة تستطيع النفس أن تقدم حبها للمسيح لا بالكلام ولكن بفعل قلبي، بحركة النفس الداخلية،

بعمل روحي باطني. أي تشرح المحبة بالمحبة، والخضوع بالخضوع، والتسليم بالتسليم، هذا هو العمل الروحي الخالي من كل تدخل جسدي.

وعندما تكون النفس قد استيقظت إلى ذاتها وبدأت تباشر عملها الروحي الداخلي، تستطيع حينئذ أن تدرك الأمور الروحية ومعانيها ومفهوماتها، وتستطيع أن تتعرف على الحياة الأبدية والخلود بدون تصورات جسدية وبدون الاعتماد على الحواس وبدون تدخل الوسائل البشرية «ما لم ترَ عين وما لم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان - كلمات لا يُنطق بها ولا يسوغ لإنسان أن يتكلم بها - أعلنه الله لنا نحن بروحه» (١كو٢:٩، ١٠؛ ٢كو١٢:٤).

بهذه المعرفة الروحية الخالصة الخالية من شوائب الفكر الجسدي وانفعالات الحواس المربكة تبتدئ النفس تدرك الحق كأنها فيه وتدرك الله منه.

أما لكي تثبت النفس في الحق والله فهذا لا يتم بالجهد الجسدي ولا بذبح الحواس لو أمكن، وإنما بالخضوع المستمر لله ودوام يقظة القلب للعمل الروحي الذي يؤهلها لتكميل المعرفة، هذا الكلام ليس للمتعلمين بل للإنسان كإنسان في حد ذاته سيان إن كان متعلماً بكل علم أو أُمياً لا يتقن القراءة والكتابة. فقط يلزم للمتعلم أن يصير جاهلاً لأن «الله استحسن أن يخلّص

المؤمنين بجهالة الكرازة» (١كو١: ٢١).

والنفس التي بلغت إلى معرفة ذاتها أو مارست العمل الداخلي بحركة القلب بعبارة صادقة، لابد أن تدفعها المحبة والحرارة الداخلية لتكميل كل نشاط خارجي، كأعمال التقوى والفضيلة بكل أنواعها بمؤازرة الروح. هذا النشاط الخارجي الذي يبدو كأعمال جسدية إنما هو في هذه الحالة **امتداد للعمل الروحي الباطني وبالتالي هو عمل روحي أيضاً.**

أما النشاط الخارجي إذا لم يكن منبعثاً من دوافع روحية خالصة وعشْرة صادقة مع الحق والله، فإنه يكون قليل النفع. ولا نريد أن نقول إنه لا يساوي شيئاً.

والعلامة التي تُثبت أن الأعمال المعمولة، سواء كانت خدمات أو عبادة أو تقوى أو فضيلة أو نسكاً أو أي عمل آخر، منبعثة حقاً من الداخل ومصدرها روحي محض، هي أن تكون هذه الأعمال جميعاً معمولة لا عن اضطرار أو تغصُّب أو بضيق وتململ إنما عن فرح مسرة وبحرارة وغيرة واتساع. لأن المحبة هي المصدر الصالح الذي تنبعث منه الدوافع! «الإنسان الصالح من الكنـــز الصالح في القلب يخرج الصالحات» (مت١٢: ٣٥).

المحبة هي كنـــز الإنسان الصالح التي تلهم النفس الخدمة والعبادة والفضيلة والنسك وكل ما هو صالح! حيث لا يكون قلق ولا اضطراب بالنتائج، لأن العمل يكون معمولاً كمشيئة الله

بدافع المحبة إيفاءً لدين المحبة: «أما الذي يعمل فلا تُحسب له الأجرة على سبيل نعمةٍ بل على سبيل دَيْنٍ» (رو٤:٤).

خطر أن يكون مصدر أعمالنا وخدماتنا وعبادتنا وممارستنا للفضائل هو رغبة بلوغ شيء أو محاولات لاكتساب شيء؛ لأن ذلك يجعل النفس تنحصر في هذه الأعمال من أجل نفسها، وتهتم بها لأجل ذاتها، تستحسنها وتفرح بها بقدر ما تنتفع بها؛ فتزداد النفس إعجاباً بذاتها بقدر ما تنجح في ممارساتها، وتعتدُّ بقدراتها بقدر ما تتشدد في عهودها، وترتفع عن غيرها بقدر ما تدقق في قوانينها. وبالنهاية تتضخم الذات وتتكبر وتنتفخ حتى بممارسة الإتضاع.

هنا عندنا جملة تصلح أن نسميها: **جملة النجاة!**

[يلزم أن يكون العمل من الله لله]

أو كما يقول الكتاب: «هاأنذا أجيء لأفعل مشيئتك يا الله» (عب١٠:٩). هكذا عمل المسيح وهكذا يعمل الملائكة وكل جند السماء، وهكذا عمل الآباء والأنبياء والرسل بعيداً بعيداً عن إرضاء الذات أو نفعها. **هذا هو العمل الروحي.**

-٣-
راحة

الراحة الحقيقية للإنسان الروحي السائر على الطريق الضيق هي أن لا يكون في حياته **فراغ**.

الراحة الجسدية مربوطة بالبعد الزماني فهي بمثابة الساعة الزمنية والاستغراق فيما يشبه النوم. ولكن ما أخدعها راحة، لأن الزمن لا يمكن أن يتوقف، فهو يَسْتَرِقُ، ويمر من وراء وعي الإنسان خلسة. فتنحدر الساعات والأيام والشهور والسنين إلى هاوية الموت أو اللاوجود. ويستيقظ ضمير الإنسان فجأة فيجد أن الزمن قد تعاهد مع الموت والهاوية ضده، وأن فرصة الخلود والحياة الأبدية قد صارت أضعف مما كانت!

الزمن يسير باتزان لا يهتز وقانون لا ينفلت، فيكوِّن داخل الإنسان أكواماً منسقة من الحوادث الفسيولوچية والسيكولوچية هي عبارة عن ماضٍ متضخم، يزداد كل يوم تضخماً ويحمله الإنسان أينما سار، ليتدخل في كل تصرفه ويشكل مزاجه وعمله وكل حركاته. والواقع الذي لا مناص منه هو أن الإنسان **تاريخ متكدس** من صنع الأيام يُشكِّل بالنهاية قامته البشرية، لا من حيث الطول الجسدي فحسب، بل ومن حيث الطول الزمني الذي يحوي معنى غِنَى الشخصية وعمقها بقياس الحوادث والتصرف إزاءها.

ولكن يوجد داخل الإنسان **بُعدٌ آخر** فوق الزمن منفصل عنه، لا

يتبع التغيير الفسيولوچي ولا يخضع للتأثير السيكولوچي، فهو يكاد يكون بمعزل عن تراب الأرض وكل ما يُستحدث منه أو يؤول إليه. هذا البُعد اللازمني لا يتبع الحركة فهو ليس من هذا العالم، لذلك ليس له وحدات قياسية وإنما يخضع لتدبير الله مباشرة: هذا هو **قانون الخلود والحياة الأبدية**.

وكما أن الإنسان حينما يسير بمقتضى البُعد الزماني يشعر بالساعة واليوم ويلتحم بالأرض والسماء وكل ما فيها، ويخضع لقانون الحركة والتغيير الذي ينتهي حتماً بالعدم؛

كذلك أيضاً حينما يتبع قانون الخلود فإنه يشعر باللانهائية وبالوجود الكلي وبالحياة الأبدية، ويلتحم بالحق ويتحول إليه، وهذا هو المعبَّر عنه في اللاهوت بالشركة في الطبيعة الإلهية (انظر ٢بط١: ٤).

هذان البُعدان، أي البُعد الزمني والبُعد اللازمني، يسيران جنباً إلى جنب في داخل الإنسان، والإنسان مدعو أن يسير عليهما معاً، يُخضع الزمن ويلاحق الخلود!

وكلما أسرع الإنسان في المسير على واحد منهما كلما تقلَّص الثاني، وظهر وكأنه يتقهقر مسرعاً إلى الخلف.

فالالتحام بالأرض والأشياء التي عليها إذا بلغت درجة العشق والتلذذ أو الهم والقلق فهذا هو الإسراع في المسير على البعد الزمني، وبالتالي هو خضوع التزامي لقانون البَلَى (الفساد) والعدم الذي يتبع الزمن.

والالتحاق بالحق - والحق هو الله - والانشغال بالمحبة وبالحياة الأبدية حتى إلى بذل الذات وتسليم النفس، فهذا هو الإسراع في المسير على البعد اللازمني، وبالتالي هو اتِّباع لقانون الخلود الذي يحكمه الله.

الذي يلتزم بالبعد الزمني ويكتفي بالركض فيه يواجه فراغاً باطنياً، لأن الحياة الأبدية تفرُّ من أعماقه أو تتجمد فيه وكأنها عدوٌّ يسكنه!

أما الذي يتبع البعد الإلهي فإنه يحس بالزمن يفر من كيانه ويتوارى خلفه، كإنسان مسافر في قطار يرى الأعمدة والأشجار وهي تهرب مذعورة وتصغر في ذاتها، وتصغر حتى تتلاشى من الوجود وهو ثابت في مكانه راضياً بهذا الإسراع وهذا الزوال؛ هكذا العالم كله وكل الأشياء التي فيه تنطوي وتتصاغر وتختفي خلف السائر في طريق الحياة الأبدية.

الإنسان البعيد عن الله يواجه إما الشعور بالتوقف الزمني، أو بعدم الإحساس به لأنه يكون مغموراً فيه! وتوقُّف الزمن فراغ قاتل للنفس التي خُلقت لتعْبُر وتسير فوق الزمان. كذلك فالإنسان الذي يلتحم بالعالم يتولد فيه إحساس بتضخم العالم وأهميته وعظمة الأشياء التي فيه. لأن الإنسان بحد ذاته عظيم في خلقته وتكوينه، لذلك فكل ما يلتحم به الإنسان يصير في إحساسه واعتباره عظيماً كنوع من خداع الرؤيا، وهذا هو سر تأليه الكون والمادة عند الطبيعيين والشيوعيين.

أما الإنسان الملتصق بالحق فإنه في اندفاعه نحو الأبدية بإحساس

فائق للزمان وخارج عنه، يشعر وكأنما الأيام والسنين تتصاغر في نظره وتفقد قيمتها كلما ازدادت سرعتها فتخلق فيه شعوراً بالرضا، لأن سرعتها العكسية تُزيده شعوراً بامتداده وقُربه من الغاية الخالدة.

كذلك فالإنسان العائش في الله ينفصل العالم من كيانه، فتبدو الأشياء والحوادث التي في العالم على حقيقتها تافهة كلِعَب الأطفال ومنازعاتهم.

توجد راحة حقيقية وراحة كاذبة.

التوقف بمضمون البعد الزمني، أي أن يتعطل الإنسان عن أداء بعض الأعمال لبعض الوقت أو كل الوقت ويجلس ساكتاً منفرداً، هذا لا ينشئ راحة حقيقية ولكنه يُدخل الإنسان في الفراغ الزمني المخيف. لأنه حتى في سكوت الإنسان المؤقت عن العمل أو في سكوته الدائم لا يمكن أن يتخلص من حركة الزمن إذ يصبح الإنسان وكأنما يسير في مكانه! فيزداد تذمُّراً من الزمن الذي يصير كقوة ضاغطة تضغط عليه من كل جانب.

الإنسان لا يستطيع أن يتخلص من الزمان إلا إذا دخل أعماق نفسه والتصق بالحق والحياة الأبدية، أي إذا تمسك بالبعد اللازمني وآمن بالخلود.

الراحة الحقيقية يستحيل أن توجد في التوقف عن العمل الجسدي، لأن الطبيعة وهي مستعبَدة للزمان مستعدة أن تنتقم من كل مخلوق حي يتجاسر ويتوقف عن خدمتها، إلا إذا كان هذا التوقف من قبيل الاستراحة لاستجماع القوى لعودة الخدمة والعمل بصورة أوفر

وأنشط!

الزمن دائماً ضد السكون!

والطبيعة تحرِّم الراحة - في حد ذاتها - !

الراحة الحقيقية، إذن، يلزم أن يكون في مضمونها **لا التوقف عن العمل وإنما حلٌّ لمشكلة الزمان والخروج من ورطته، وارتقاءٌ فوق منهج الطبيعة واضطرارها.**

هكذا تبدو الراحة والسكون بالنسبة للإنسان واضحة أشد الوضوح في المسير بمقتضي البعد اللازمني، أي بالدخول في الحياة الأبدية والالتصاق بالله حيث تكون الراحة لا في الكفِّ عن العمل بأي نوع، وإنما بعدم الالتحام به.

وحيث يكون السكون ليس **بتوقيف** الساعة الزمنية من الشعور وإنما بالارتفاع فوق الزمان.

الإنسان مُعرَّض دائماً، حتى والروحيون أيضاً، إلى البحث عن الراحة. هذا الميل الشديد إلى الراحة يعود إلى ثقل نير العالم (الزمن) وضعف الجسد (الحركة). هذا جعل الإنسان مضطراً إلى التماس الراحة من أقصر طريق أي بالهروب من الزمن والهروب من الحركة.

المسيح - تبارك اسمه - كان يدرك هذا الشعور في الإنسان، لذلك دعاه للراحة الحقيقية بأن يحمل نيره الخاص مؤكداً أن نيره هيِّن وحمله خفيف، لا لأنه يقوم على أساس الكفّ عن العمل المادي أو الالتجاء إلى السكون الظاهري، ولكن على أساس الدخول في الحياة الأبدية أي الارتفاع فوق الزمان.

والسير نحو الحياة الأبدية لا ينفي الزمن ولا يستغني عن الحركة قط، ولكنه يستخدمها كما يستخدم الإنسان درجات السلم للصعود. إذن، على كل حال لا يزال أمامنا جهد وحركة!

ولكن في وعد الرب بالراحة: «فتجدوا راحة لنفوسكم» (مت١١: ٢٩) مضمون سري وعجيب قائم في معنى «النير»، لأن النير - أي النافْ (وهو الخشبة الثقيلة التي تُعلقَّ في رقبة الحيوانَيْن اللذين يجرَّان المحراث أو محرِّك الساقية، وذلك في الريف) - يشير إلى زمالة الرب لنا في المسير لأن النير لا يحمله واحد وإنما يوضع على رقبتين؛ ومعروف لدي الذين يحرثون بالمحراث أنه إذا تزاملت بقرة شديدة مع بقرة ضعيفة فثقل المحراث كله ينصبُّ على الأقوى!

يا للسر المبارك! إنَّ في زمالة الرب لنا راحة مؤكدة، ولكنها دعوة منه وليس اجتراءً منا، حتى أن الجهد القليل الذي تبقَّى علينا يحمله هو عنا.

أنظروا ما أطيب الرب!